البروج القبطية نمط خاص من عمارة الحصون

الأستاذ دكتور/ أشرف سيد محمد حسن

أستاذ العمارة والفنون المسيحية

رئيس قسم الآثار– جامعة سوهاج

الملخص:

لقد ابتكرت قريحة الأقباط الهندسية جملة من الابتكارات المعمارية التي حصنوا بها مبانيهم الديرية والكنائسية من الداخل ومن الخارج ،، والفريد في مثل هذه الأعمال المعمارية التحصينية القديمة أنها لم تشيد بغرض مهاجمة المغيرين بل طلب منها أيضا تحقيق معادلة صعبة و هدف رهباني لا خلاف عليه ألا وهو الحفاظ على الرهبان دون الاعتداء على من يهاجمهم حرصا من الرهبان على تنفيذ قواعد الرهبنة الصحيحة .

يبدأ هذا البحث بمقدمة يذكر فيها تاريخ المسيحية في مصر وما عاناه الأقباط كثيرا من الاضطهاد الديني أيام الوثنية وتخليد أشد عذاباتهم عام(284م) بإقامة عمود السواري الشهير بمدينة الإسكندرية جاعلين من هذا التاريخ بداية لتقويمهم القبطي الذي لا يزال معمولا به في مصر حتى الآن ،، وكذا استمرار الرومان في اضطهاد الأقباط حتى بعد إيمانهم بالمسيح لكن على مذهب الطبيعيتين وليس الطبيعة الواحدة التي آمن بها المصريون ،،

وسوف يتناول هذا البحث بالوصف و الدراسة والتحليل هذا النوع من العمائر القبطية وعناصره وكذا ما استجد وتطور على عمارته من خلال المكتشفات المعمارية الأثرية الحديثة ويستهل الباحث مقالته تلك بالتعريف بالأديرة القبطية ومكونات عمارتها التحصينية كالأسوار والأبراج والمناخس والمطعمة والسراديب والحصون، ولعل هذه الأخيرة هي أهم وسائل التحصين

والحماية داخل الأديرة وهي موضوع هذا البحث الرئيس، ثم يتحدث الباحث بعدها عن تجربته العلمية الأثرية في اكتشاف مثل هذا النوع من المباني من خلال أعمال الحفر الأثري، وأخيرا يختم الكاتب بحثه هذا بخاتمة ضمنها أهم نتائج بحثه ثم يلحق به بعض اللوحات والأشكال.

مقدمة :

يعرض هذا البحث لنوع خاص من أنواع عمارة الحصون ذات ميزات خاصة وأهداف وطرق تحصين وحماية مختلفة كذلك،هذا النوع هو عمائر الحصون أو البروج القبطية، وسوف يبدأ البحث بتعريف موجز للأقباط ودخولهم المسيحية، ثم تعريف سريع كذلك بالأديرة القبطية وعمائرها، ثم نبذة عن بداية تحصين العمارة الدينية المسيحية ثم يشرع الباحث بعدها في الحديث عن عمائر التحصين والحماية بالأديرة والمدن القبطية وأنواعها.

وبعدها يعرض لنموذج مهم لهذا النوع من العمائر – يدرس لأول مرة – ألا وهو عمائر الحماية والتحصين بالمدينة الأثرية الواقعة إلى الشمال من دير أبو حنس وإلى الجنوب من الشيخ عبادة "إلى الشمال الشرقي من مدينة ملوي، محافظة المنيا"، وهي المعروفة خطأ بمدينة أنصنا حسب سجلات وزارة الآثار المصرية، حيث سيعرض البحث لأسوار هذه المدينة وكذا ما تبقى من بروجها وحصونها، وسوف يعرض هذا البحث كذلك لأهم مميزات عمائر هذه المدينة التحصينية وطرق بنائها وتشييدها ومن أهمها أسوار هذه المدينة وكذا ما تبقى من بروجها وحصونها.

إن الناظر إلى العمائر المسيحية عامة والقبطية منها خاصة ليجد أن الأديرة[1] تمثل عصب هذا النوع من العمائر ولها في داخل مصر وخارجها

(1) تجمع هذه الكلمة – التي تفرد على دير بسكون الياء – على جموع عدة منها أديرة وديورة وديارات

مكونات معمارية واحدة في الغالب تتفق جميعا في احتوائها على سور يضم كل مبانيها، وذلك بالطبع مع مراعاة اختلاف التفاصيل في شكل ومضمون ووظيفة كل وحدة معمارية من وحدات هذه الأديرة حتى جاء الوقت وأصبحت الأديرة مدنا متكاملة في حد ذاتها لما احتوته من مختلف أنواع العمائر التي تفي باحتياجات ومتطلبات كل من يحيون بداخلها حتى الاحتياجات والمتطلبات الترفيهية كالمباني الرياضية والتجارية أحيانا حتى قادت الأديرة قاطرة النهضة الصناعية في أوربا خلال العصور الوسطى والحديثة..... ولا عجب في أن يكون لمصر فضل كبير على الرهبنة العالمية وعمارتها وفنونها والتأثير فيها حسبما سبق للباحث إثباته من قبل[1].

إلا أن أهم ما يميز الأديرة القبطية هي وسائل تحصينها والاحتماء بها،ولن أقول الدفاع عنها بالعمائر الدفاعية كما أسماها أحد الباحثين بهذه التسمية التي ساد خطؤها بين الباحثين حتى كتابة هذا البحث، وسوف نناقش ذلك كله بالتفصيل في مؤخرة بحثنا هذا، ويرى الباحث ضرورة عرض نبذة تاريخية قصيرة للتعريف بالأقباط وما أحاط بهم عند اعتناقهم المسيحية..... قبل الخوض في تفاصيل الحديث عن أساليب تحصين وحماية الأديرة القبطية.

---

(1) أشرف سيد محمد :"تأثير الفنون المسيحية المصرية (القبطية) على الفنون الأوربية خلال عصر الهجرات"، جامعة بيروت العربية، كلية الآداب، مؤتمر حوار الحضارتين العربية والغربية عبر المتوسط، 7 : 9 مايو 2001م بالتعاون مع مركز الدراسات العربي الأوربي بباريس، (35) صفحة، (1) خريطة، (2 شكل)، (69) لوحة.

_____ : الدور الحضاري للأقباط في أوربا خلال النصف الثاني من الألفية الميلادية الأولى"، المجلس الأعلى للثقافة، الإدارة المركزية للشعب واللجان الثقافية، لجنة الآثار، ندوة: آثار مصر القبطية، 11 : 12 مايو، 2004م،

_____ :التأثيرات المسيحية المصرية على العمائر والفنون الأرمينية – المؤتمر الدولي الأول لجامعة المنيا ، جمهورية مصر العربية " حوار الحضارات : قنوات الاتصال بين الشعوب " ، مركز سوزان مبارك الثقافي للفنون والآداب 3 -5 – نوفمبر 2008.

لقد بشر مرقص الرسول بالمسيحية في مدينة الإسكندرية المصرية عند نحو منتصف القرن الأول الميلادي فآمن به كثيرون[1]،،،،،،، وما لبثت هذه الديانة تتوغل في كل قرى ومدن مصر حتى لم يجد الرومان – حكام مصر آنذاك – إلا التنكيل بأصحاب هذه الديانة الجديدة فقتلوهم حينا وعذبوهم حينا آخر حتى بلغ التعذيب أوجهه عند نحو عام (284 م) حين ألقي بآلاف الأقباط دفعة واحدة للأسود واللبؤات المجوعة كي تلتهمهم فخلد الأقباط هذا التاريخ بأن جعلوه أول يوم في أول عام بتقويمهم الذي أسموه و لم يزل تقويم الشهداء[2]

و لم يكتف هؤلاء الأقباط باتخاذهم تقويما مختلفا عن الرومان الحاكمين – بعد مخالفتهم في الديانة – بل خالفوهم في الملبس وفي اللغة والفن والعمارة أيضا.. إلا أن ثمة انفراجة كبيرة حدثت عندما آمن الرومان بالمسيحية فخف تعذيبهم للأقباط قليلا.. ثم ما انفك أن جد خلاف مذهبي بين الرومان والأقباط أسفر عن عودة الرومان لاضطهاد وتعذيب المصريين مرة أخرى، وهكذا فقد تعرض الأقباط لاضطهادين : أحدهما ديني حين اختلافهم مع الرومان في الديانة والآخر مذهبي عندما خالفوهم في المذهب.....

لم يك أمام الأقباط عند تعرضهم لاضطهاد الرومان في الحالتين إلا أن يفروا من وجه هؤلاء بعيدا في الصحراء وفي الصعيد وإلى أعالي الجبال وفي كل مكان يصعب عليهم الوصول والحصول على هؤلاء الأقباط الذين آمنوا بالمسيح إلها ذا طبيعة واحدة على خلاف الرومان الذين رأوه ذا طبيعتين.

---

(1) زكي شنودة : " موسوعة تاريخ الأقباط " ــ القاهرة (جـ1) 1968 ــ ص 29.
وزارة الثقافة ، المجلس الأعلى للآثار : " دليل المتحف القبطي " ــ ص 11.

(2) عزت زكي حامد قادوس: " آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني " ـــــ الإسكندرية 200، ص.73

هكذا أصبح الأقباط أمام واقع فرض عليهم إخفاء مبانيهم الدينية عن أعين الرومان فاتخذوا بيوت بعضهم كنائس صلوا فيها سرا كما جاء في الآية الإنجيلية التي تقول :" سلموا على برسكلا وأكيلا.... وعلى الكنيسة التي في بيتهما "[1]، ثم عمدوا بعد ذلك إلى تحصين مبانيهم لاسيما الديرية والكنائسية منها ومن الثابت أن هذا التحصين كان يعجزه الهجوم فالقبطي سيما الراهب منهم لا يستطيع أن يهاجم أو يقاتل أو حتى يدافع عن نفسه حين إيذائه حسبما تنص على ذلك قواعد الديداكية أو الدسقولية[2] ومن قبلها تعاليم الإنجيل الأصيلة.

ولم تك عمليات التحصين المعماري هذه للأديرة والكنائس القبطية قاصرة على العصر الروماني والبيزنطي بل استمرت وإن قلت وتيرتها إبان العصر الإسلامي لمقاومة غارات البربر وهجماتهم على الكنائس والأديرة العامرة بغية الاستيلاء على ما فيها من مقتنيات ثمينة بل وحتى الطعام والشراب أحيانا، **ويؤكد بعض الدارسين أن فكرة الحصن بدأت منذ القرن الرابع الميلادي واستمرت** حتى القرن الثاني عشر الميلادي وبعد ذلك انتهت هذه الفكرة وأ**صبحت الحصون مجرد تاريخ بعدما تمت إحاطة الأديرة فى القرن الثالث عشر بالأسوار، تلك الأسوار التى حرمت الرهبان من عمل**"المنشوبيات " وهى التجمعات التى تحيط بالدير حيث يخرج أحد الرهبان بعيدا عن الدير ومعه مجموعة من تلاميذه ويقومون بعمل ما يسمى بالمنشوبية الخاصة به ثم يقوم ببناء ما يعرف بمجمع الخدمات الخاص بمنشوبيته[3].

---

(1) رسالة رومية 16 : 5.

(2) مرقس داود : "الدسقولية أو تعاليم الرسل "، مكتبة المحبة 1979م

(3) للمزيد انظر : http://www.coptichistory.org/new_page_1994.htm

وكما أن ظاهرة إنشاء وبناء عمائر تحصينية لم تك قاصرة على عصر بعينه، فهي كذلك لم تك قاصرة على مصر المسيحية وحدها فقد جاء أن الإمبراطور زينون أحاط بسور الكنيسة التي شيدها في ماري ثوتوكس عند الربع الأخير من القرن الخامس الميلادي أعلى الجبل المقدس كما زودها جستنيان بعد ذلك بحصون ذات أبراج حصينة منعا للهجوم عليها. .

وبعد فقد أصبح من الضروري الآن التعريف بالأديرة القبطية وأساليب تحصينها وتأمينها:

قال الرازي وديْر النصارى (بسكون الياء) جمعه أديار والديْراني (بسكون الياء أيضا) هو صاحب الدير[1]، وجاء في المعجم الوجيز أن الديْر بسكون الياء أيضا هو دار للرهبان والراهبات ويجمع على أديار[2]

أما تعريف الدير من الناحية المعمارية فهو عبارة عن مجموعة من الأبنية المتعددة ذات الطابع الديني يتعبد فيها الرهبان تشمل الكنائس والقلالي والحصن والمائدة والمعاصر والمطاحن والمنشآت المائية والسراديب وبيوت العمال ودار الضيافة والدكسار[3].....وبالطبع سور يضم كل هذه المنشآت المعمارية وغيرها، وما يخص بحثنا من بين كل هذه المنشآت المعمارية هي عمائر التحصين والحماية بالأديرة والمدن القبطية وتأتي على رأسها الأسوار :

(1) محمد بن أبي بكر الرازي : " مختار الصحاح " ، ط 3 ، المطبعة الأميرية بمصر 1911 م 1329هـ، ص 235.

(2) مجمع اللغة العربية: " المعجم الوجيز " 1410 ه – 1990 م ، ص 240.

(3) مصطفى عبد الله شيحة : " دراسات في العمارة والفنون القبطية ، هيئة الآثار المصرية ، (8 19)، ص. 69.

الأسوار

اعتبرت الأسوار عنصرا معماريا رئيسا يحيط بالمباني المقدسة في مصر منذ عصر الفراعنة، ولقد اتخذت الأسوار الديرية هيئات مختلفة فمنها المستطيل كما في دير الأنبا سمعان ودير الفخوري ودير السريان، كما أن منها المربع ومنها أيضا ما يتخذ شكلا غير منتظم، إلا أنها في جميع حالاتها مرتفعة بحيث يصعب تسلقها من الخارج.. وقد لا تحتوي هذه الأسوار على فتحات مداخل مثل دير البكرة بجبل الطير بسمالوط بالمنيا [1]ودير البكرة بجبل أبو فودة بابنوب التابعة لمحافظة أسيوط[2]، وكذلك كان حال ديري الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر قديما، ذلك أن أسوار مثل هذه الأديرة لم تحتو على مداخل، إذ كانت توجد نقور في جزء من السور يسهل تسلقها بعد إرخاء حبل متصل ببكرة داخل السور ويمسك الراهب بهذه البكرة من خلال خطاطيف، وعندما ترفع هذه الحبال تشد الراهب من الخارج بينما هو ممسك بخطافين واضعا رجليه في النقور المذكورة حتى يعتلي السور ثم يلتف أعلى السور ويبدأ بالنزول حتى يجد نفسه داخل السور.

وفي حالة احتواء هذه الأسوار على مداخل فقد كان عددها لا يزيد غالبا عن مدخل واحد صغير تحقيقا لمبدأ الأمن وتأمين الدير لسهولة السيطرة على المدخل الواحد عنه إذا ما زاد عددها عن ذلك، وإن كانت هذه النظرية أمنيا قد ثبت ضعفها، وتحتوي هذه الأسوار على منشآت معمارية أخرى تفي بغرض المراقبة والمتابعة مثل الأبراج والمناخس، وهي التي يتم الوصول إليها عن طريق

---

(1) أشرف سيد محمد: العمائر الكنائسية بمحافظتي المنيا وبني سويف وقديسوها الأوائل، (2009) ، ص
Curzon، R. ; " visits to monasteries in the Levant " (1948)، p p. 121, 128.

(2) _____: عمارة الكنيسة في محافظتي أسيوط والوادي الجديد : دراسة أثرية معمارية ، 2012 م،
Norden , F.L. ; Voyage d Egypt et de Nobie 1795 : 1798, vol.2, p.51.
Wilkinson, G. : " modern Egypte and Thebes , vol.2, p.75

الممشى الذي يحتوي هو الآخر على فتحات ضيقة أو مزغلية بغرض المراقبة أيضا وليس لأي غرض آخر كرمي المهاجمين بالسهام كما اعتقد بعض الباحثين[1].

والممشى هذا عبارة عن ممر ضيق يعلو ظهر السور ويبلغ ارتفاعه نحو المترين وله فتحات للتهوية ومراقبة ما يحدث خارج الدير كما سبق ذكره،ويتم الصعود إليه من أرضية الدير من الداخل، عن طريق سلالم ومنه نصل لأعلى الأبراج والمناخس ولازالت نماذج أصيلة منه وبحالة جيدة موجودة بأديرة الأنبا سمعان والأنبا بيشوي والأنبا بولا والأنبا أنطونيوس.

الأبراج والمناخس

هي عبارة عن مباني مربعة صغيرة توجد في أركان سور الدير وتحتوي على مكان يقيم به الراهب المسئول عن الحراسة والمراقبة بالتناوب مع زملائه الرهبان بالطبع ولذلك فلابد أن تحتوي جدرانه الأربعة على فتحات كبيرة نسبيا تفي بالغرض السابق وكذلك الإنارة والتهوية، وقد خلط الدارسون بين الأبراج والمناخس، ولكن صحيح القول حسبما درجنا عليه أن يطلق على مثل هذه المباني أبراجا إذا ما كانت مساحتها كبيرة،وأما إذا ما صغر حجمها فمن الصواب تسميتها مناخس.

ولقد تعددت أشكال فتحات المراقبة والتهوية والإضاءة في كل العناصر المعمارية السابقة فمنها المربع والمستطيل والمستدير والمدبب وما يتخذ شكل المزاغل والقنديليات الإسلامية مثل تلك الفتحات والنوافذ الكائنة بدير أبو مقار.....

(1) انظر: حجاجي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 185.

وهنا لا بد من العودة مرة أخرى إلى القول بأنه من الخطأ الاعتقاد بأن مثل هذه النوافذ والفتحات قد استخدمت في " متطلبات الدفاع " [1]،فهذه الجملة الأخيرة تعني القتال والرمي وإلقاء المواد الحارق والملتهبة..... وهذا ما لم تنص عليه أبدا قواعد الرهبنة،،،، وهو ما لم يحدث أبدا في تاريخ الأديرة المصرية قديما. ومن العناصر التي حاول المعمار الديري ابتكارها أيضا كي يحمي الرهبان من هجمات وغارات البربر وغيرهم هو عنصر المطعمة أو المطعمية.

المطعمة

هي عبارة عن حجرة تعلو فتحة المدخل، ولها فتحة تطل مباشرة على المدخل من عتبه،، ولقد اعتقد بعض الباحثين أنها كانت بغرض المراقبة والمتابعة، كما اعتقد آخرون أنها كانت بغرض إصابة من يحاول دخول الدير من غير المرغوب فيهم [2].

حان الوقت لمناقشة هذه الوجهة من النظر التي اعتبرت مثل هذا النوع من العمائر دفاعيا، فمن المعروف للجميع ومما لا شك فيه أن تعاليم المسيحية عموما وتعاليم الرهبنة خصوصا وكذا تعاليم الديداكية[3]تنهى تماما عن إلحاق الأذى بالآخرين مهما كان فعلهم حتى وإن بدأوا هم بالإيذاء، والآيات الدالة على ذلك كثيرة ومعلومة بالضرورة للجميع، كما أن مبادئ الرهبنة وتعاليمها على اختلاف العصور والشخوص واضحة وحاسمة في ذلك، إذ إن الراهب لم يترك الحياة بمن فيها وما فيها كي يتقرب إلى الله بالقتل أو إلحاق الأذى بالآخرين وإن كانوا قتلة أو لصوصا، وسوف نناقش لاحقا هذا الأمر بالتفصيل.....، وعليه فإن هذه الفتحة كانت بغرض آخر رئيس يختلف

(1) حجاجي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 185.

(2)حجاجي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 185.

(3)الديداكية أو الدسقولية هي تعاليم السيد المسيح كما نقلها عن التلاميذ و لم تدون إلا خلال القرن الثاني الميلادي انظر مرقس داود : "الدسقولية أو تعاليم الرسل "، مكتبة المحبة 1979م.

عن الغرض من باقي الفتحات والنوافذ التي بالأسوار والمناخس والأبراج، ألا وهو مناولة السائلين ما يريدون من طعام وشراب دون فتح باب الدير خوفا من أن يكون وراء هؤلاء السائلين لصوصا ومهاجمين يستغلون لحظة فتح باب الدير فيهاجمونه وينهبون ما فيه.

ومن العناصر المعمارية الأخرى التي شيدها الأقباط داخل أديرتهم بغرض التحصين والحماية والاختفاء بها حين الغارات هي السراديب.

السراديب

تفرد على سرداب، وفي اللغة هو بناء تحت الأرض يلجا إليه من حر الصيف [1]، أما في العمارة القبطية فقد كان الغرض منه مختلفا عن ذلك، إذ كانت السراديب في الأديرة القبطية عبارة عن ممرات تحت الأرض بغرض السير والتستر فيها والتنقل داخلها – تخفيا من المغيرين – من منطقة إلى أخرى داخل الدير، و لم تسلم السراديب أيضا من الاعتقاد في أنها كانت أيضا ذات أغراض دفاعية[2].

ومن وسائل الحماية التي ابتكرها الأقباط بعمائرهم الكنسية كذلك أن جعلوها قليلة الفتحات والنوافذ وإن وجدت هذه الأخيرة كانت مرتفعة وضيقة، كذلك جعل للكنيسة مدخل واحد رغم أن ذلك مخالف لقواعد الديداكية التي تنص على وجوب احتواء الكنيسة على ثلاثة مداخل : واحد للكهنوت وآخر للرجال وثالث للنساء من شعب الكنيسة[3].

---

(1) مجمع اللغة العربية : المرجع السابق ، ص 308.

(2) حجاجي ابراهيم : المرجع السابق ، ص 186.

(3) 3أشرف سيد محمد : عمارة المداخل الكنائسية في مصر: دراسة أثرية تحليلية مقارنة ، الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب ، المجلة العلمية لكلية الآداب بسوهاج، عدد2005 .

كذلك جعل المعمار القبطي في مذبح الكنيسة بالهيكل من ناحية الشرق طاقة صغيرة، قيل إنها ترمز لقبر السيد المسيح، وكانت توضع فيها ورود في أعياد مسيحية، كما جاء أيضا أنها أنشئت ليخبئ بها الكاهن أدواته المقدسة الثمينة التي تكون عادة من الذهب مثل الكأس والمستير...،وذلك عندما يشعر بدخول لصوص أو مهاجمين الكنيسة وعندها لا يستطيعون معرفة مكان مثل هذه المقتنيات الكنسية الغالية.

وبعد فقد حان الوقت للحديث عن أهم عنصر من عناصر الدير المعمارية الذي استخدمه الرهبان للاحتماء به والتحصن فيه عند الغارات والهجمات.... ألا وهو الحصن.

الحصون

عرفت الحصون القبطية في المصادر والوثائق القديمة بعدة أسماء لعل أشهرها **الجواسق** وتفرد على جوسق، والجوسق هو القصر الصغير والحصن [1]، **والبروج** ومفردها برج، والبرج هو الحصن وهوأيضا البناء العالي الذاهب في السماء وتجمع على أبراج أيضا [2]، **والقصور**، ومفردها قصر، والقصر هو البيت الضخم الواسع وجمعه قصور [3]، ولقد بدأت كظاهرة معمارية، حسب أغلب المصادر، لمقاومة هجمات البربر، إلا أن ثمة من يقول أن الحصن كان فاتحة إنشاء الأديرة، بمعنى أن الدير بدأ به الحال كحصن وليس كدير، وبالطبع هذه النظرية ليست دقيقة بالمرة و لم يقدم صاحبها أي دليل على صحتها[4].

(1) مجمع اللغة العربية : المرجع السابق ، ص 127

(2) مجمع اللغة العربية : المرجع السابق نفسه، ص 43

(3) مجمع اللغة العربية : المرجع نفسه ، ص 504

(4) حجاجي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 61.

وثمة إجماع بين المتخصصين على أن الرهبنة قد ظهرت على ضفاف النيل مع ظهور الديانة المسيحية[1] ثم تبع ذلك تطور مبادئها وعمارتها، حتى أصبحت الأديرة مدنا متكاملة في حد ذاتها إذ تضمنت كل أنواع العمائر التي تحقق كل احتياجات الرهبان الدينية والدنيوية كما سبق ذكر1 في غرة هذا البحث، ومارس بعض هذه الأديرة الزراعة والصناعة، بل إن هناك دلائل آثارية على وجود ما يشبه الوكالات داخل بعض الأديرة[2]، بل إن الأديرة قادت قاطرة النهضة الصناعية في أوربا خلال عصر النهضة وما تلاه.

لقد دعت الضرورة مجتمع الرهبان، الذين اعتادوا حياة الرهبنة، الحرص على إنشاء مثل هذه الحصون داخل أديرتهم وفي موقع يسهل عليهم الوصول إليه من كل مكان داخل الدير، وذلك حتى يحتمي الرهبان بها حين الغارات والهجمات التي اعتاد البربر شنها عليهم بين الحين والآخر، وإن رأى بعض المتخصصين أن الحصون كظاهرة معمارية ما هي إلا تأثير سوري [3].

وعادة ما يكون الحصن مربعا يتراوح ارتفاعه بين الخمسة عشر مترا والعشرين مترا، ولا يتم الدخول إليه من الطابق الأرضي كما هو معتاد بل من خلال معبرة موجودة في الطابق العلوي ترتكز على مبنى مربع منخفض في مواجهة الحصن عند إرخائها (لوحة 6 : 7)، ثم ترفع هذه المعبرة مرة أخرى عقب دخول آخر الرهبان إلى الحصن، وعندها تنقطع الصلة بين الحصن وما

---

(1) رؤوف حبيب : تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم ، مكتبة الحبة ، بدون تاريخ ، 35.

(2) أشرف سيد محمد : تقرير لم يسبق نشره عن نتائج أعمال الحفر الأثري (1993 : 1994) بالمدينة الأثرية الواقعة إلى الجنوب من الشيخ عبادة ، المؤتمر الأماني السوري الثاني للعلوم والتقانة : المدينة – الإقليم – القرية القديمة ، حمص – جامعة البعث – الجمهورية العربية السورية 2 : 9 تشرين أول = أكتوبر 2009م، ص 6.

(3)حجاجي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 65 .

حوله فلا تكون هناك فرصة لدخوله بعدهم لأحد، وترفع هذه المعبرة وترخي عن طريق بكرة بداخل الحصن (شكل 1 : 4).

وعلى الرغم من استقرار الرأي لدى بعض المتخصصين على أن للحصون القبطية مخططات ثلاثة إلا أن واقعها المعماري يقرر أن تخطيطاتها أكثر تنوعا من ذلك بكثير، لاسيما أنها تتكون من ثلاثة طوابق في الغالب يحتوي كل واحد منها على مكونات معمارية تختلف عن الآخر بما استوجب كذلك تنوع مخططاتها، لكن المجال هنا لا يتسع للحديث عن تلك الجزئية التي يرى الباحث ضرورة إفراد بحث خاص لها.....، ومع ذلك كله يمكن القول بأنه من أشهر مخططات الحصون وأكثرها انتشارا هو – باختصار شديد – ذلك المخطط المربع الذي يشطره دهليز إلى شطرين غير متساويين في المساحة، ويفتح هذا الدهليز على جميع غرف وحجرات كل طابق، ويوجد بئر السلم عند أحد أطراف هذا الدهليز، ومن هذا المخطط البسيط يستطيع المعمار بعد ذلك الحصول على كل وحدة معمارية من وحدات الحصن حسب المساحة والموقع ورقم الطابق(شكل 1 : 3).

وعادة ما يحتوي الطابق الأرضي من الحصن على مصادر المياه كالآبار أو الأنابيب الفخارية التي تحضر المياه من خارج الحصن إلى حوض أو صهريج صغير بداخله، ويحتوي كذلك هذا الطابق على مخازن الطعام والمطبخ والمائدة، بينما يحتوي الطابق الثاني على الكنيسة والمكتبة، أي إنه يمكنني القول بأن الطابق الأول قد احتوى على غذاء الجسد أما الطابق الثاني فكان به طعام الروح، أما الطابق الثالث وهو الأخير عادة فقد احتوى القلالي وكل ما يلزم لراحة الرهبان.

ولقد حرص المعمار على أن يحتوي الحصن كذلك على مقابر عرفت باسم " التافوس " على ألا يزيد عددها عن اثنتين إلا قليلا، وذلك حتى إذا ما

أدركت المنية أحد الرهبان وتنيح أثناء احتمائه بالحصن دفن بأعلى الحصن على سطحه المكشوف تفاديا لحدوث أية أضرار صحية لباقي الرهبات داخل الحصن نتيجة لما يتبع الجسد البشري عقب الموت من تحلل ينتج عنه مشاكل صحية وبلايا وخيمة إذا ما تعرض الأحياء له عن قرب.

ولا توجد نوافذ من أي نوع بالطابق الأرضي من الحصن لكنها قد توجد بالطابقين التاليين شريطة أن تكون ضيقة وقليلة العدد حماية وتأمينا لمن بداخل الحصن.

وقبل الحديث عن تجربتي في استخراج واكتشاف هذا النوع من العمائر القديمة من خلال أعمال الحفر الأثري أود الحديث عن مدى صحة إطلاق مسمى العمائر الدفاعية عليه وهي التسمية التي شاعت عليه في أوساط المتخصصين خلال النصف الثاني من القرن الماضي : -

إن الناظر إلى مثل هذا النوع الفريد والمتميز من أنواع عمائر الحصون ليجد أن وصفه بمسمى العمائر الدفاعية غير دقيق ولا يعبر عنه ولا عن وظيفته ذلك أن الدفع في اللغة يعني التنحية والإزالة بالقوة، ومنه الدفاع الشرعي عن النفس أو العرض أو المال، وهو حق يخوله القانون للشخص يبيح له الالتجاء إلى القدر اللازم من القوة لدرء خطر الاعتداء على نفسه أو ماله أو حتى على نفس الغير وماله، [1]، وهذا ما لا يتحقق على الإطلاق في هذا النوع من العمائر التي لا يستطيع أصحابها إلا حبس أنفسهم حتى نهاية الغارات والهجمات، فهم إذا لا يقومون بأية عمليات دفاع شرعي عن النفس، وهذا ما أثبتته كتب التاريخ القديم ومصادره، حيث لم يثبت قديما قيام الرهبان باستخدام وسائل دفاع حربية أو مواد ملتهبة أو حارقة دفاعا عن أنفسهم أو أديرتهم

(1) مجمع اللغة العربية : المرجع السابق ، ص230 .

إذا فالمسمى القديم والمتعارف عليه تحت اسم " العمارة الدفاعية "غير صائب ولا يصيب الوصف الدقيق لحال هذه العمائر لذا وجب على كاتب هذا البحث ضرورة طرح مسمى أو اصطلاح جديد بالأحرى يكون أكثر دقة وتعبيرا عن حال هذه العمائر،،، وبعد التدقيق قي حال الأديرة وحال أهلها وكذا التدقيق لغويا عند إطلاق هذا المسمى الجديد استقرت عقيدة الباحث على أن يكون وصف هذا النوع من عمائر الحصون تحت مسمى عمائر الحماية والتحصين الديرية لأن الرهبان لم يك لهم أي فعل عند الغارات والهجمات سوى الاحتماء والتحصن داخل هذه العمائر الديرية.

لقد أسعدني القدر بالعمل الأثري وإجراء العديد من الحفائر الأثرية في أحد المواقع المسيحية الهامة ليس في تاريخ العمائر المسيحية المصرية فحسب وإنما في تاريخ العمارة المسيحية عامة، هذا الموقع هو المدينة الأثرية الواقعة إلى الشمال من دير أبو حنس وإلى الجنوب من الشيخ عبادة "إلى الشمال الشرقي من مدينة ملوي، محافظة المنيا "، وهي المعروفة خطأ بمدينة أنصنا حسب سجلات وزارة الآثار المصرية (خريطة 1 : 5).

يشغل موقع هذه المدينة ما يربو على التسعة أفدنة، بخلاف المباني غير الظاهرة والتي لم تكتشف بعد، وجل عمائر هذه المدينة ذات طابع خاص وشيد أغلبها من اللبن ويطوقها سور ضخم من جميع الجهات عدا الجهة الغربية المشرفة على نهر النيل إذ استعاض المعمار عن السور بتدابير معمارية تحصينية أخرى تعتمد على الأبراج الكاشفة والتي تفي بغرض المتابعة والمراقبة.....،

وعلى الرغم من قيام فريق البحث الأثري بعمل مجهودات كبيرة للكشف عن مداخل هذه المدينة إلا أننا لم نوفق في تحديدها بدقة حتى الآن، سيما وأن سور هذه المدينة لا يعود إلى فترة زمنية واحدة، ولعل سور هذه المدينة الشرقي هو أطول هذه الأسوار على الإطلاق (لوحة 1 : 7). وهو كغيره عريض

ومؤلف من عشرة مداميك بوضع الجنب ليبلغ عرضها ما يقرب من المتر الواحد وثلث المتر، بما يؤكد وجود مماشي ومناخس ومراقب وأبراج أعلى ظهر هذا السور.

ولا يمكننا تحديد أية شوارع رئيسية بهذه المدينة ولا حتى الفرعية منها، فتغلب علي مباني هذه المنطقة العشوائية وأحيانا تعدد الطبقات المعمارية ووجود أكثر من مستوطنة بداخلها، كما يلاحظ كذلك وجود عدد من الجدران داخل المدينة كانت وظيفتها تقسيم هذه المدينة إلي قطاعات غير واضحة المعالم ولا نستطيع – نظرا لعدم وضوح المباني بدقة – الجزم بإذا ما كانت هذه الحوائط متصلة بمجمعات أو مستوطنات منعزلة ذات أسوار، أم أنها مجرد أبنية ثانوية طرأت علي هذه المدينة، أم أنها أماكن للسكني أريد فصلها عن باقي الأجزاء الأخرى في الجوار.

ويغلب الطوب اللبن علي ما دونه من مواد البناء الأخرى في تشييد مباني هذه المدينة، ويبدو هذا الطوب اللبن أحيانا مكونا من طينة هشة ضعيفة ربما لدخول مواد رملية في تكوينها، بينما ثمة نوعية أخري من ذات الطوب تبدو أفضل منها ربما لكثافة وجود الطفلة النيلية في تكوينها وإضافة الهشيم (التبن) إليها وهو الذي تغذت عليه الأرضة فبدا غير واضح في أغلب الأماكن ويغلب أن تكون مقاسات الطوب اللبن متساوية تقريبا في الأحجام بحيث يبلغ متوسط حجمها في أغلب الأحوال،(7،5 سم ارتفاع × 26 سم طول × 12،5 سم عرض).

إلا أن ذلك لم يمنع من وجود مواد أخري مثل الطوب الأحمر المحروق وربما كان مخصصا لوضعه في أساسات الجدران وبعض الدعامات.... كما أنه ثمة نوع من البلاط صنع أيضا من الطين المحروق وإن قل استخدامه في مثل هذا

الغرض وكان يأخذ شكلا مستطيلا حينا ومربعا حينا آخر، إلا أن الحجر الجيري والرخام قد استخدما بكثرة في هذا الغرض.

أما عن المونة فقد استخدم الطين ذاته مع الهشيم أيضا كما استخدم بلاط مكون من الحجر الجيري المحروق والمطفي بالماء في طلاء الجدران، وربما وجدت قطع خشبية مستخدمة في الأعتاب إلا أن آثارها قد درست تماما إما بسبب الأرضة أو استغلال أهل المنطقة المجاورة لمثل هذه القطع الخشبية بعد نزعها من موضعها الأصلي وهو ما حدث في أغلب الأحوال مع الأحجار وكذا الطوب الأحمر، والملتفت إلى بعض الأبنية القديمة بقرية دير أو حنس المجاورة ليجد كثيرا من تيجان الأعمدة وكذا أبدانها وبعض الأحجار الأخرى ذات الشكل القديم موضوعة في مبانيها ومحشورة بجدرها.

أما عن أسلوب البناء فقد أتبع في رص الطوب طرقا متنوعة يغلب عليها تبادل وضع المداميك بين المواجه والمجانب أو مدماك واحد مواجه ثم مدماكين مجانبين، وأحيانا أخرى ترص بحيث تكون خمسة مداميك في وضع المواجهة ومدماك واحد قائم، وأحيانا ترص جميعها في وضع المجانبة رغم عرض الجدار مثلما هو الحال في السور الشرقي الممتد من الشمال إلي الجنوب،وكان البّناء في أغلب الأحوال حريصا علي سد الثغرات بين المداميك وطلائها من الداخل والخارج (تلييسها) بالطين ذاته المستخدم في المونة، كما وضع البناء في بعض الأحيان مداميكه من الداخل والخارج بشكل مجانب بينما جعل ما بينهما من مداميك أخري يأخذ وضعا مواجها، كما جعل بعض المداميك ذات وضع قائم وبعضها الآخر ذات وضع متسلق بالتناوب مدماكا ومدماك[1].

(1) Nicolas , W. ,(2005) , " The architecture of Ansina " a preliminary report of the supreme council of Antiquities , Survey project. pp : 2 :4.

عمائر الحماية بالمدينة

ويقصد بها كل أنواع العمائر التي تم تشييدها في هذه المدينة بغرض الاحتماء بها أو حمايتها أو مراقبة ما يدور بخارجها، ومن أول هذه العمائر الأسوار.

أ – الأسوار :–

و يطوق سور ضخم هذه المدينة ويمتد من الشمال إلي الجنوب من جهة الشرق، ومن الشرق إلي الغرب جهة الشمال، أما الناحية الغربية وهي المشرفة علي نهر النيل فلم نرصد بها أية بقايا لأسوار علي الإطلاق، ولكن ثمة تدابير دفاعية أخرى كرست لهذا الجانب الغربي كما سبق ذكره، أما الجهة الجنوبية فثمة بقايا لسور بها يمتد من الشرق إلي الغرب، مع ملاحظة أن أغلب المستوطنات المشرفة علي النيل قد جعل لها سور خاص، كما أن ثمة أسوار أخرى داخلية تضم مجموعات معمارية تشبه الأديرة وتقصل بينها الأسوار كذلك، ويبدو المدخل إلي هذه الأسوار في جميع الحالات غير واضح، حتى أن المدخل إلي هذه المدينة خلال أي من الأسوار السابقة غير واضح أيضا، كما أن ثمة من يؤكد علي الدوام أن هذه الأسوار من فترات تاريخية متتابعة وأنها بكل تأكيد لا تعود إلي مرحلة زمنية واحدة.

ويري بعض الباحثين أن تشييد وترميم هذه الأسوار ظل مستمرا منذ بداية تشييد المدينة (ق 4م) حتى خرابها (ق 10م) ويبدو السور الشرقي لهذه المدينة هو أطول هذه الأسوار جميعا وهو مكشوف في أجزاء منه ومندثر في أجزاء أخرى ودارس في ثالثة لكنه في كل الأحوال يواصل امتداده، وقد استغل هذا السور– حال باقي الأسوار – ليشكل جداره جزءا من بعض العمائر الداخلية بهذه المدينة، كما أن ثمة مسافات فارغة تبدو كالشوارع تليه مباشرة وتفصله عن بعض العمائر الأخرى، ومن الغريب أن ثمة تراكمات رملية تشير إلي

استمرار هذا السور إلي أقصي الشمال من هذه المدينة وربما إلي ما يليها في ذات الجهة (لوحة 1) بما يشير إلي أنه كان يضمها ويضم جزءا آخر من مدينة أنطينوبوليس المجاورة من ناحية الشمال[1].

ب – الأبراج :-

ومن الجدير بالذكر وجود أبراج مربعة في أركان هذه الأسوار من الداخل أو حتى في امتداداتها بحيث تبدو موزعة بشكل دقيق علي طول السور، وهذه السمة موجودة في جميع الأسوار الخارجية لهذه المدينة ولعل أحسن هذه الحجرات المربعة التي تتخذ هيئة أبراج الأركان هي تلك الحجرة الكائنة بالركن الجنوبي الشرقي من سور هذه المدينة (لوحة 2)، وهي التي يبلغ طول ضلعها حوالي(4 م× 4 م) والمدخل إليها موجود في الركن الجنوبي الغربي منها ولا يزيد اتساعه عن (1م). ويبدو أن مثل هذه الحجرات كانت تستخدم في المراقبة والاستطلاع مما يستلزم وجود طابق علوي لها ودرج و نوافذ وفتحات للمراقبة، وهذا كله هو ما ضاع أثره وزال طلله.. وتؤرخ هذه الأبراج كما تؤرخ الأسوار أي بفترات تاريخية تمتد ما بين القرنين (4 : 8 م)، وربما كانت الأبراج المكتشفة بدير سانت كاترين بسيناء تشبهها إلي حد كبير وهي ما أرخت بذات الفترة تقريبا[2].

جـ – الحصون :-

جعلت الحصون للجوء إليها والتحصن بها، وقد امتاز الجانب الغربي من هذه المدينة – وهو المشرف علي النيل مباشرة – بوجود أغلب الحصون فيه،

---

(1) Leclerc , H. , (1907), " Antinoe " in Dictionnaire d archeologic et de liturgie , vol. 1 , paris , pt. 2 ed. F.COL. 2326 – 60 Cabrol and leclerc , H

(2) Grossmann, p.
(1988),"NeuebaugeschichtlicheuntersuchungenimKatharinen – klosterim Sinai " AA, (pp.) 543 – 558 , spec. 55FF,Fig. 3

فيبدو أن المعمار قد استعاض بهذه الحصون عن وجود سور يحمي هذه الجهة، إذ تم الكشف عن حصنين حتي الآن : أحدهما جهة الشمال والآخر جهة الجنوب، كما أن ثمة حصون أخرى في وسط المدينة، ومجموعة أبراج أخرى تحيط بالكنيسة ثلاثية الدخلات التي اكتشفها جروسمان ويبدو أن هذه المنطقة قد قصد عمدا إحاطتها بمثل هذه الأبراج الثلاثة، وإن كان ذلك غير معتاد في العمائر المسيحية المعروفة[1]، إلا أن فانسليب الذي زار هذا الموقع عند نهاية القرن السابع عشر الميلادي قد أوضح في مخطط له وجود مثل هذه الأبراج، وقد أظهر بعضها متصلا بمباني والآخر منفصلا ويقف منعزلا عنها[2].

لكننا لو أردنا أن ندرس نموذجا لمثل هذه الحصون فلن نجد أفضل حالا من ذلك الحصن الواقع في الشمال الغربي من هذه المدينة نظرا لوضوح مخططه الداخلي ووضوح المجموعة التي ينتمي إليها هذا الحصن (شكل 4، لوحة 3).

يقع هذا الحصن إلي الشمال الغربي من هذه المدينة وهو يشرف علي نهر النيل من جهة الغرب، ويبدو أن جدرانه الخارجية كانت من الحجر أو الطوب لذا فقد تم سلبها كلية ربما لإعادة استغلالها في بعض المباني الأخرى الحديثة في القرى المجاورة، أما الجدران الداخلية فقد بقيت علي حال سمح برصدها وتتبعها رغم صغر المساحة الكلية لهذا البرج ودقة أجزائه.

(1) Grossmann, p (1982), "MittelalterlicheLanghauskuppell-kirchen und verwandteTypen In Oberagypten, Gluckstadt, 128 FF.A bb. 54.

(2) Vansleb, J. (1677) " Novelle relation en form de Journal d un voyage fait en Egypt en 1672 et 1673 , pp. 141-152.

ولا يمكننا تقرير إذا ما كان هذا الحصن مسبوقا بمبني يصعد منه إليه – كعادة الحصون الديرية[1]–أم أنه كان محتويا علي فتحة مدخل أرضي محصنة بأسلوب ما بحيث تفي بغرض تحصين من بداخل الحصن وهو ما كان معمولا به في بعض الحصون الأخرىخارج هذه المنطقة، ويزيد من احتمالية وجود الأسلوب الأخير عدم عثورنا علي أية آثار قريبة من هذا الحصن تجعلنا نشك في استخدامها في مثل هذا الغرض، وإن كان جروسمان يعتقد باحتمالية استخدام سقف الحجرة الجنوبية الغربية من المنزل المجاور لهذا الحصن كمبني يصعد من خلاله إلي فتحة الحصن الكائنة بأعلاه بواسطة قنطرة ترفع ناحية الحصن ثم ترخى مرة أخرى بعد صعود آخر اللاجئين إليه، وهي التي ترتكز بدورها علي هذه الحجرة بهذا المنزل السابق، وللعالم الكبير جروسمان رأى آخر – لا أدري من أين جاء به – يقول فيه " ربما استخدم سلم خشبي يسهل نقله في الصعود إلي هذا الحصن بوضعه علي الجدار الشرقي منه ثم رفعه بعد ذلك ووضعه داخل الحصن[2] ".

ثمة بقايا ضعيفة لجدار غير سميك يتقاطع مع الجدار الشرقي للحصن وهو يمتد من الشرق إلي الغرب عند بداية النصف الشمالي من جهة الجنوب للجدار الشرقي للحصن، إلا أننا لم نستطع معرفة الغرض من وجود مثل هذا الجدار الضعيف، ومن المؤكد وجود مدخل الحصن جهة الشرق وذلك سواء أكان هذا المدخل أرضيا أم علويا، وربما كان يفضي هذا المدخل مباشرة إلي ممر يمتد باتجاه الغرب.

---

(1) Villard , M., (1928), " Deyr el –Muharraka. Note archeologiche" Milan , 28 FF

(2) Abdal-Rahman , T. , Ghattas , M. and Grossmann, p. , (2001) , " preliminary report on the excavation of a monastic Complex to The south of Antinoopolis " Bulletin de, la societe d archeologiecopte , Tome XL , caire , pp.48:50 , Fig. 1.

ترتفع أرضية الطابق الأرضي لهذا الحصن قليلا عن مستوي الأرضية المجاورة للدير وبعد دخول الحصن نصل إلي الممر- سابق الذكر – الممتد من الشرق إلي الغرب حتى منتصف البرج تقريبا، ويوجد إلي يسار هذا الممر أو إلي الجنوب منه مباشرة درج داخلي كان الغرض منه الوصول إلي الطوابق العلوية للحصن، وتبدو ثمة بقايا لعمود ربما كان هذا الدرج يلتف من حوله.

توجد فتحة مدخل مجاورة للجدار الشرقي تؤدي إلي منطقة أسفل الدرج السابق، ربما كانت غرفة أسفل فراغ السلم (بئر السلم) أريد استغلالها في غرض ما، وإلي الشمال من الممر توجد فتحة مدخل أخرى تفضي إلي حجرة صغيرة كاملة التربيع، كما أن ثمة فتحة مدخل أخرى عند النهاية الغربية من الممر تفضي إلي حجرة مستطيلة كبيرة تعادل في مساحتها ضعف الحجرة السابقة تقريباً، وتوجد فتحة مدخل عند الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الحجرة، ربما تحدث نوعا من الارتباط بالجزء الجنوبي الغربي من هذا الحصن وبصفة خاصة حجرة الدرج السابقة.

ربما كان الطابق الثاني – الذي هو موضع الدخول بصفة تقليدية – متشابها مع الطابق الأرضي مع ملاحظة غياب حجرة المخزن الصغيرة والمنخفضة والموجودة في الطابق الأرضي أسفل الدرج وربما كانت الحجرة الغربية الرئيسة تشغل كل مساحة الطابق الثاني من الشمال إلي الجنوب، بعد إلغاء الحجرة الشمالية الشرقية الصغيرة وضمها إليها.

ورغم العثور علي قطعة عملة معدنية صغيرة داخل هذا البرج وإمكانية تأريخها بعصر الإمبراطور هرقل(610 : 641 م)، إلا أن ذلك لم يرض الباحثين وذهبوا يقارنون هذا البرج بأبراج وادي النطرون بكليا تحديدا وهي التي اكتشفتها – أي أبراج كليا – بعثة سويسرية، وخرجوا من هذه المقارنة بتطوره الواضح والكبير عن تلك الأبراج، لكنه أقل تطورا من الأبراج

الضخمة الباقية بالأديرة العامرة في وادي النطرون علي سبيل المثال، وعلي هذا فقد أرجعوه إلي الفترة الواقعة بين هاتين المرحلتين المعماريتين وهي بداية (ق8م)[1].

وهكذا فقد أصبح من الواضح أن هذه المدينة حصنت بوسيلتين : الأولي خارجية وهي الأسوار والثانية داخلية وهي الحصون، وظني أن الأولي تفلح في رد العدوان من الخارج فإذا ما اقتحمت هذه الأسوار، استخدمت الحصون الداخلية في الاحتماء واللجوء إليها حتى تنفض الغارة، كما يجدر ذكرا أيضا أن بعض المجموعات المعمارية الداخلية بهذه المدينة كانت قد سورت بسور خاص غير أسوار المدينة العامة، يفي بغرض حمايتها أو حتى مجرد عزلها وفصلها عن المجموعات المعمارية الأخرى بذات المدينة.

تاريخ إنشاء المدينة وتاريخ خرابها

كنت أتمني، أثناء إجرائي للحفائر الأثرية في هذه المدينة عند بداية العقد الأخير من القرن العشرين، أن أجد ما يساعدني في الحصول علي مسمي هذه المدينة وكذا تاريخها... إلا أن ذلك بالضبط لم يحدث، كما أنني لم أجد ضالتي في تقارير الحفائر السابقة والتي استمرت متواصلة تقريبا خلال القرن العشرين، إذا فلم يكتشف المنقبون جميعا حتى الآن أية مادة أثرية تساعد في الحصول علي تاريخ إنشاء هذه المدينة، وأما عن العدد القليل للغاية من العملات القديمة التي اكتشفت بهذه المدينة فهو لا يكفي أبدا في تأريخها تأريخا دقيقا ومنها قطعة العملة المعدنية الصغيرة التي اكتشفت داخل أحد أبراج هذه المدينة والتي أمكن

(1)- ربما ساعدت عناصر أخري فنية في الحصول علي تاريخ تقريبي لهذا الحصن. انظر :
Mulder , V. (1987) , " Early Christian Lotus –panel capitals and other so – called impost
capitals , " BABESCH 62 p. 147.

تأريخها بعصر الإمبراطور هرقل(610 : 641 م)، كما سبق ذكره في طيات هذا البحث من قبل ذلك.

ولقد اعتمد الأثريون والمعماريون علي شكل العمائر وما بها من زخارف في محاولة تأريخها، إضافة إلي ما قد يجدونه بها من عملات – هي في الحقيقة- لا تعطي انطباعا صريحا دقيقا عن تاريخ المكان الذي وجدت به كما ذكرت نظرا لإمكانية تداولها غبر عصور مختلفة وكذا سهولة نقلها.....، وعلي هذا الأساس فقد خرج العالم الكبير عبد الرحمن عبد التواب وكذا جروسمان بتأريخ مباني هذه المدينة بالفترة الممتدة فيما بين القرنين السابع والثامن الميلاديين[1]، لكنه أي جروسمان أيضا لم ينكر وجود مباني مبكرة تعود إلي العصر الروماني المتأخر سيما عهد دقليديانوس (284 : 305 م)،كما أنه افترض استمرارها – أي المدينة – بلا دليل دامغ حتى العصر الفاطمي وربما المملوكي– كما يعتقد[2].

ولقد بدأت بالعالم الكبير عبد الرحمن عبد التواب وكذا جروسمان عند الحديث عن تأريخ هذه المدينة لأنهما متفردين في دراسة هذه المدينة، ومتفردين أيضا في محاولة تأريخها، حتى أنهما لم يخشيا ما ذكره كلارك عن عدم استطاعته تأريخ هذه المدينة [3]، و لم يتأثرا بما أورده علماء الحملة الفرنسية عن أنها شيدت بعد خراب أنتنويه، وإن تأثر بهم الجميع في قولهم إنها ظلت عامرة حتى قبل زيارتهم لها بأربعة أو خمسة قرون [4].

---

(1) Abdel - Rahman , T., and others , (2001) , op. cit , pp. 50 :52

(2) Grossmann , p. (without date) , " activates in upper – Ansina", a preliminary report to E.A O. p.187

(3) Clark , s. (1912) , " Christian antiquities in The Nile valley " Oxford , pp. 187 : 188 , fig. 42

(4) علماء الحملة الفرنسية : (2003) " موسوعة وصف مصر " ، جـ 23 ، صـ 222:223

وقد خلصت من الدراسات السابقة وكذا أعمال الحفر إلي أن هذه المدينة ربما قد بدأ في إعمارها خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ثـــم ازدهرت فيما تلا ذلك من قـــرون حتى ظهر الإسلام وفتحت هـــذه المنطقة خلال (ق 8:7م) فهجرها أهلها النصارى تترا باحثين عن مكان آخر لهم،ودليلي علي ذلك هو عدم العثور علي أي أثر يدل علي انتشار العربية أو الإسلام في هذه المدينة في حين تم العثور علي آثار تحوي كتابات قبطية كشواهد القبور والعملات، كما أن الزخارف كلها لرسوم مسيحية وصلبان.... لذا فإنني أتساءل كيف تهجر هذه المدينة خلال العصر المملوكي ولا توجد قطعة عملة عربية فيها ولا حرف عربي واحد علي قطعة واحدة من المكتشفات، وهو أمر غير قابل للتصديق سيما مع سيادة اللغة العربية داخل الأديرة والكنائس بعد تعريب الدواوين مباشرة (7:6 م) ولا يعقل أن يستمر أهل هذه المدينة في عزلة تامة عمن حولهم حتي العصر المملوكي[1].

وهكذا فقد بدا واضحا أن الجزم بإطلاق تسمية معينة محدودة علي هذه المدينة أمر سابق لأوانه، كما أن محاولة جعلها مجتمعا رهبانيا قحاً أيضا أمر ينقصه كثير من التدليل إضافة إلي تأريخها المختلف عليه، والأمر بحاجة إلي عمل علمي منظم وجماعة تعمل بروح الفريق وإمكانات هائلة تؤهل إجراء حفائر أثرية قادرة علي كشف وإزاحة هذا الغموض الذي مازال يخيم علي هذه المدينة

(1) يوافق ذلك العام (706) الميلادي العام (88) الهجري ، وكان ذلك في ولاية عبد الملك بن مروان ، وظل امتداد التعريب مستمرا حتي جاء القرن التاسع الميلادي وأخذت اللغـــة القبطيـــة في الاضـــمحلال والتلاشي أمام اللغة العربية حتي في الأديرة وداخل الكنائس ، انظر : المقريزي.ت. (1998)،" تـــاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي " القاهرة ، صـــ 53 :64.

التراثية، وأعد هذه دعوة للمتخصصين لمحاولة سبر أغوار هذه المدينة العريقة التي حاول هذا البحث توضيح مميزات عمارتها وحصونها.

الخاتمة:-

درس هذا البحث لهذا النوع من عمارة الحصون وهو عمارة الحصون القبطية وعرض لملامحه المعمارية وميزاته الخاصة وكذا لمفرداته المتعددة التي كان من أشهرها الحصون أو البروج، وفند لعدة مفاهيم علمية شائعة في أوساط المتخصصين، ومن أشهرها إطلاق مسمى العمائر الدفاعية على هذا النوع من العمائر رغم أن أهله لم يكونوا يقومون بأية عمليات دفاعية عن أنفسهم سوى الاحتماء بمثل هذه العمائر والتحصين فيها، كما أثبت البحث كذلك خطأ من اعتقد في أن عنصر المطعمة الكائن بأعلى مداخل الأديرة،وكذا الفتحات والنوافذ الكائنة بممشى السور والحصن - حتى إن اتخذت شكل المزاغل - قد استخدمت في إلقاء المواد الملتهبة أو رمي المهاجمين بالسهام.....،ورفض هذا البحث أيضا ما ادعاه بعض الباحثين من أن الحصن كان فاتحة لإنشاء الأديرة..

وتمكن هذا البحث لأول مرة من الحصول على صحيح المسمى الذي يتفق لغويا ومعماريا وعقديا مع هذا النوع من العمائر، كما أوضح هذا البحث خطأ الاعتقاد بأن للحصون مخططات ثلاثة فقط وألمح إلى ضرورة إجراء دراسة مستقلة عن هذه الجزئية، كذلك فقد قدم هذا البحث نموذجا جديدا ومميزا لعمارة الحصون المستخرجة من خلال أعمال الحفر الأثري وهو عمائر الحماية والتحصين بالمدينة الأثرية الواقعة إلى الشمال من دير أبو حنس وإلى الجنوب من الشيخ عبادة " إلى الشمال الشرقي من مدينة ملوي، محافظة المنيا "، وهي المعروفة خطأ بمدينة أنصنا حسب سجلات وزارة الآثار المصرية، حيث عرض البحث لأسوار هذه المدينة وكذا ما تبقى من بروجها وحصونها، وعرض كذلك لأهم سماتها المعمارية وحاول في النهاية تأريخها.....

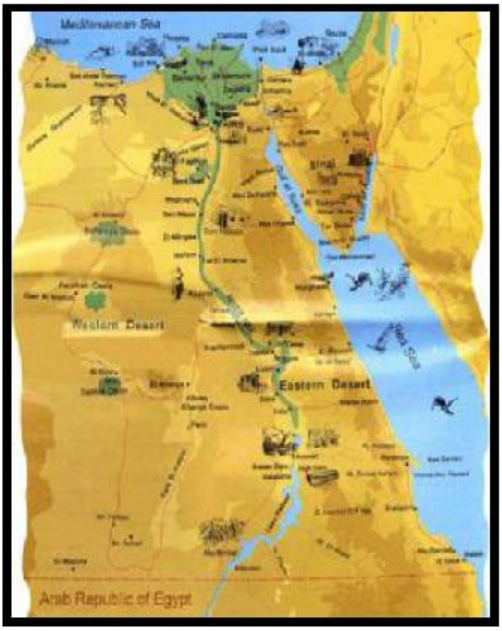

خريطة (1) جمهورية مصر العربية

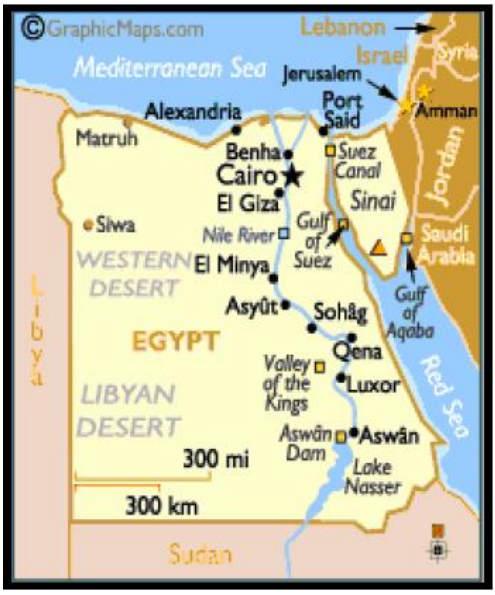

خريطة (2) أهم المواقع الأثرية بجمهورية مصر العربية

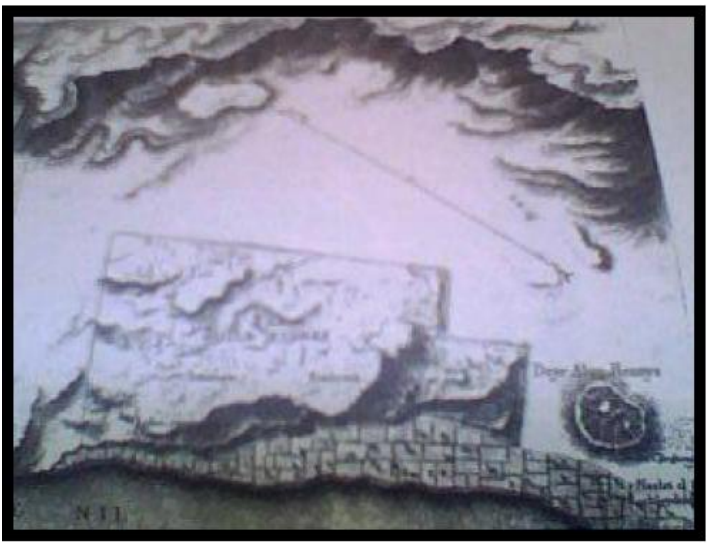

خريطة (3) خريطة عامة للمدينة الأثرية وما حولها

(عن علماء الحملة الفرنسية)

خريطة (4) خريطة طبوغرافية للمدينة الأثرية

توضح ما بالمنطقة كلها من آثار وأسوار

(عن علماء الحملة الفرنسية)

خريطة (5) خريطة توضح موقع المدينة الأثرية

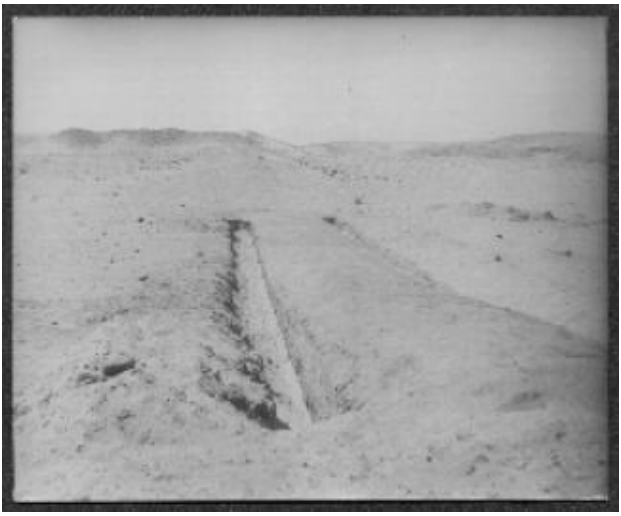

(1) سور المدينة الشرقي ق: 4–8م

(2) أحد الأبراج المربعة الملحقة بالأسوار ق: 4–8م

(3) الجانب الغربي من المدينة المشرف
على نهر النيل وبه بعض بقايا الأبراج المحصنة له

(4) أحد الحصون الواقعة إلى الغرب
من المدينة والمشرفة على نهر النيل ق: 8م

(5) بقايا أحد الأبراج المشرفة على نهر
النيل بالمديتة الواقعة إلى الجنوب من أنصنا

(6) أ– دير الأنبا مقار
منظر من الجو يجمع بين الحصن الأثري والممر
المؤدي إليه وإلى الخلف القلالي الجديدة للرهبان بالدير

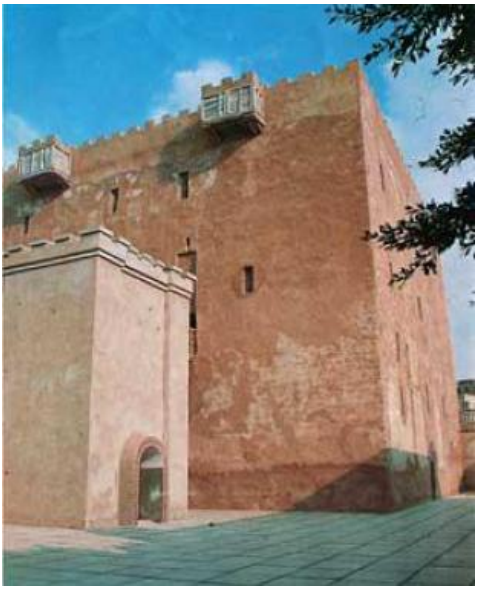

(6) ب– دير الأنبا مقار

(7) أحد حصون أديرة الصحراء ويظهر باللوحة الحصن والمبنى الصغير المواجه له والذي ترتكز عليه المعبرة

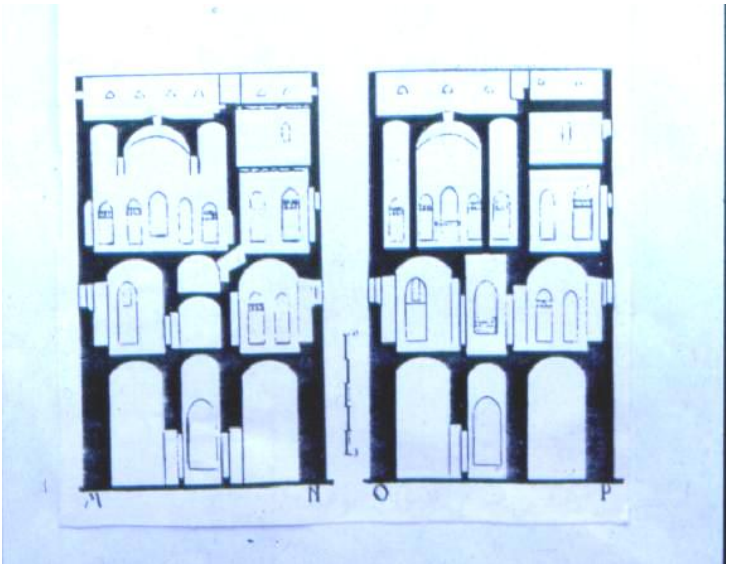

شكل ١ – قطاعات رأسية لحصن الدير المحرق بطوابقه الثلاثة والمبنى الذي يتقدمه.

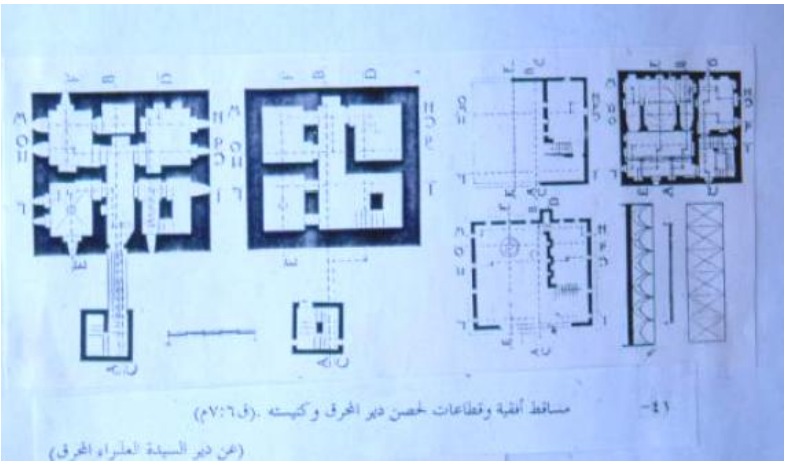

شكل ٢ – مساقط أفقية لحصن الدير المحرق بطوابقه الثلاثة

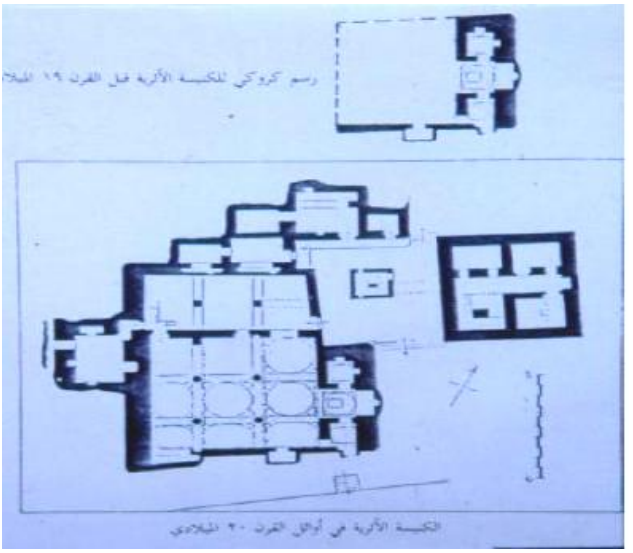

شكل ٣ – مساقط أفقية لحصن الدير المحرق و كنيسته

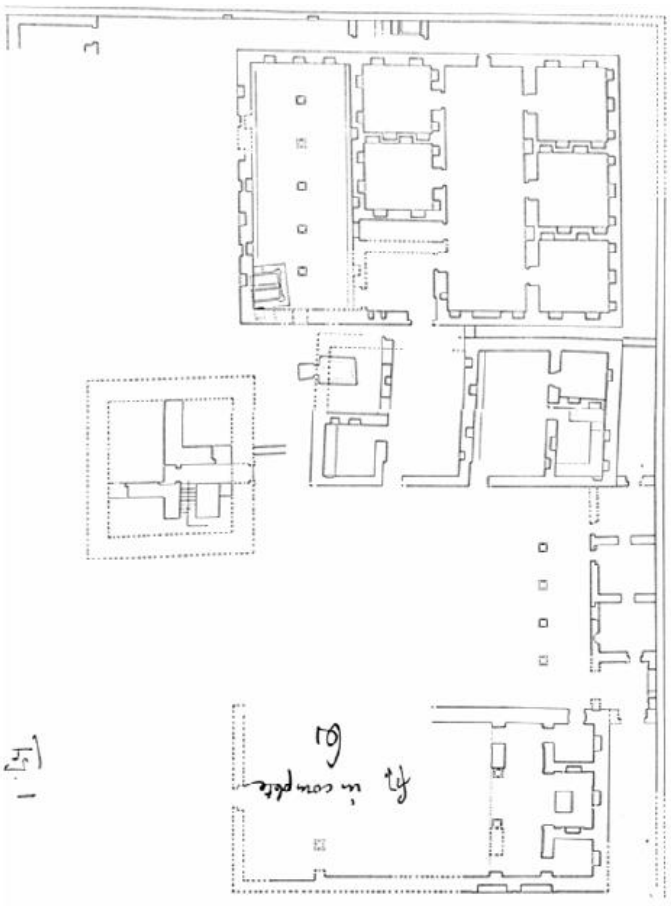

شكل 4– مسقط أفقى للحصن والمنزلين والكنيسة (المجموعة الديرية) شمال المدينة ق 8م
(عن جروسمان)

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية :

أشرف سيد محمد: "تأثير الفنون المسيحية المصرية (القبطية) على الفنون الأوربية خلال عصر الهجرات"، جامعة بيروت العربية، كلية الآداب، مؤتمر حوار الحضارتين العربية والغربية عبر المتوسط، 7 : 9 مايو 2001م بالتعاون مع مركز الدراسات العربي الأوربي بباريس.

_____ : الدور الحضاري للأقباط في أوربا خلال النصف الثاني من الألفية الميلادية الأولى"، المجلس الأعلى للثقافة، الإدارة المركزية للشعب واللجان الثقافية، لجنة الآثار، ندوة: آثار مصر القبطية، 11 : 12 مايو، 2004م،

_____: دراسة أثرية تحليلية مقارنة ، الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب ، المجلة العلمية لكلية الآداب بسوهاج

_____ :التأثيرات المسيحية المصرية على العمائر والفنون الأرمينية – المؤتمر الدولي الأول لجامعة المنيا ، جمهورية مصر العربيةـ "حوار الحضارات : قنوات الاتصال بين الشعوب"، مركز سوزان مبارك الثقافي للفنون والآداب 3-5– نوفمبر 2008.

_____:تقرير لم يسبق نشره عن نتائج أعمال الحفر الأثري (1993: 1994) بالمدينة الأثرية الواقعة إلى الجنوب من الشيخ عبادة، المؤتمر الأماني السوري الثاني للعلوم والتقانة : المدينة – الإقليم – القرية القديمة، حمص – جامعة البعث – الجمهورية العربية السورية 2 : 9 تشرين أول = أكتوبر 2009 م .

_____: العمائر الكنائسية بمحافظتي المنيا وبني سويف وقديسوها الأوائل سوهاج، (2009) .

_____ : عمارة الكنيسة في محافظتي أسيوط والوادي الجديد : دراسة أثرية معمارية، سوهاج ، 2012 م .

رؤؤف حبيب : تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة ، بدون تاريخ .

زكي شنودة : " موسوعة تاريخ الأقباط " ـــ القاهرة (جـــ1) 1968.

عزت زكي حامد قادوس : " آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني " ـــ الإسكندرية 2001 .

علماء الحملة الفرنسية : " موسوعة وصف مصر " ، جـــ 23 ، القاهرة 2003.

مجمع اللغة العربية : " المعجم الوجيز " 1410 هـــ – 1990 م.

مرقس داود : "الدسقولية أو تعاليم الرسل "، مكتبة المحبة القاهرة 1979م .

محمد بن أبي بكر الرازي : " مختار الصحاح " ، ط 3 ، المطبعة الأميرية بمصر 1911 م 1329 ه.

مصطفى عبد الله شيحة :"دراسات في العمارة والفنون القبطية ، هيئة الآثار المصرية (88 19)

المقريزي " تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي " القاهرة، (1998) .

وزارة الثقافة ، المجلس الأعلى للآثار : " دليل المتحف القبطي " بدون تاريخ ".

Abdal-Rahman , T. , Ghattas , M. and Grossmann, p. " preliminary report on the excavation of a monastic Complex to The south of Antinoopolis " Bulletin de, la societe d archeology copte , Tome XL , caire (2001),

Clark , s., " Christian antiquities in The Nile valley "Oxford , (1912)

Curzon، R. ; " visits to monasteries in the Levant "1948.

Grossmann,p.,"NeuebaugeschichtlicheuntersuchungenimKatharinen – klosterim Sinai " (1988).

_____," MittelalterlicheLanghauskuppell- kirchen und verwandteTypen In Oberagypten , Gluckstadt , ,(1982) .

_____,"activites in upper – Ansina", apreliminary report to E.A O. (without date)

Leclerc , H. , " Antinoe " in Dictionnaire d archeologic et de liturgie , vol. 1 , paris , (1907)

Mulder , V., " Early Christian Lotus –panel capitals and other so – called impost capitals , " BABESCH (1987)

Nicolas , W., " The architecture of Ansina " a preliminary report of the supreme council of Antiquities , Survey project ,(2005) .

Norden , F.L. ; Voyage d Egypt et de Nobie , .2 vols., 1795 : 1798 .

Vansleb, J. " Novelle relation en form de Journal d un voyage fait en Egypt en 1672 et 1673 , (1677).

Villard , M., " Deyr el –Muharraka. Note archeologiche" Milan , (1928)

Wilkinson, G. : " modern Egypte and Thebes , vol.2, London 1835 .

http://www.coptichistory.org/new_page_1994.htm available at 21 - 7 – **2014**